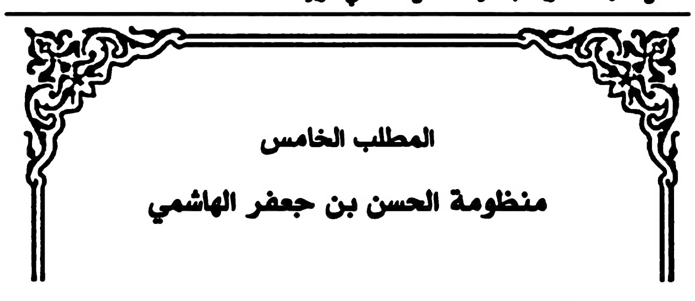


المطلب الخامس

منظومة الحسن بن جعفر الهاشمي

أولاً: الناظم[١]:

هو أبو علي، الحسن بن جعفر بن عبد الصمد ابن المتوكل على الله الهاشمي العباسي.

ولد في الحادي عشر من شوال سنة (٤٧٧هـ).

قرأ القرآن، وسمع من جماعة، وحدَّث.

كان له معرفة بالأدب والشعر، وفيه لطف وظرف مع دين وخير.

من مصنفاته كتاب «سرعة الجواب ومداعبة الأحباب».

توفي في جمادي الآخرة سنة (٥٥٤هـ)[٢]، ودفن بمقبرة باب حرب.

---

(١) انظر ترجمته في: تاريخ الإسلام (١٢/ ٨٣)، والعبر (٣/ ٢٢)، والسير (٢٠/ ٣٨٧)، وشذرات الذهب لابن العماد (٤/ ١٧١)، والمنتظم (١٨/ ١٣٧)، والمنهج الأحمد (٣/ ١٥٩)، والمقصد الأرشد (١/ ٣١٨)، والذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (٢/ ٧١)، والوافي للصفدي (١١/ ٤١٤).

(٢) اتفقت المصادر المترجمة للناظم على أن سنة وفاته سنة (٥٥٤) إلا السير للذهبي فذكر أن سنة وفاته (٥٧٣)، ولكنه في تاريخ الإسلام والعبر ذكر ما ذكره الباقون.

ثانياً: المصادر التي ذكرت المنظومة:

ورد ذكر هذه المنظومة ونسبتها للناظم في «المنهج الأحمد»[١]، و«الذيل على طبقات الحنابلة»[٢]، و«الوافي بالوفيات»[٣].

ثالثاً: تعريف موجز بالمنظومة وموضوعها:

عدد أبيات هذه المنظومة (تسعة وعشرون) بيتاً.

وهي من بحر (الكامل).

وقد جعلها الناظم ﷺ في صورة النصح من الأب المشفق لابنه بالتمسك بما سيلقيه عليه من النصح، والوصية بالسنة، وإن كانت المصادر ـ التي اطلعت عليها ـ لم تشر ما إذا كان وجه النصيحة لابن حقيقي، أم أنه جعل المنصوح في مقام الابن، إشارة إلى شفقته عليه، وحبه إياه، على عادة أهل العلم في نصحهم، فقال:

---

(١) المنهج الأحمد ٣١/ ١٦٠ ـ ١٦١.

(٢) الذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٧٤ ـ ٧٥.

(٣) الوافي للصفدي (١١/ ٤١٤)، وعجب والله للصفدي فإنه بعد أن ذكر بعض أبيات هذه المنظومة قال: «وهذا شعر منحط». فسبحان الله ماذا ظهر للصفدي فيها، إلا أن يكون لمخالفة الناظم له في معتقده، فإن الصفدي ـ على التحقيق ـ أشعري، يظهر ذلك في مواضع من تاريخه، وفي فلتات لسانه إذا عارض شيخ الإسلام، (وانظر في تحرير ذلك كتاب: موقف الخليل بن أيبك الصفدي من شيخ الإسلام ابن تيمية، لأبي الفضل القونوي).
والصفدي في مواضع كثيرة سفه قصائد غيره، حتى عاد ذلك عليه، فوصف علامة اليمن الشوكاني شعر الصفدي بقوله: «ولكثرة ملاحظته للمعاني البديعية صار الغث من شعره كثيراً، وينظمُ إلى ذلك ما يطربه به من المبالغة في حسنه فيزداد ثُقلاً». (البدر الطالع ١/ ٢٤٤).

أبني كن متمسكاً بنصيحتي   فالدهر ذو غرٍّ يجور ويخدع

رابعاً: بعض مسائل المنظومة[(١)]:

١ ـ استهل الناظم رحمه الله منظومته باستهلال وعظي ينصح فيه بالتزود للآخرة، فقال:

الدهر يعقب ما يضر وينفع   والصبر أحمد ما إليه المرجع
المرء فيما كان منه مصيره   حينا وليس عن المنيَّة مدفع
فاحذر مفاجآت المنون فإنه   لا يلتجا منها ولا يستشفع

٢ ـ وأوصى الناظم رحمه الله بالاعتصام بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ[(٢)]، فقال:

وخذ الكتاب بقوة واعمل بما   أمر المهيمن فهو حق يتبع
واسلك سبيل رسوله في أمره   تنجو به، فهو الطريق المهيع

٣ ـ وذكر قاعدة أهل السنة: بأن الله ليس كمثله شيء في ذاته ولا صفاته ولا أفعاله، فقال:

واعلم بأن الله ليس كمثله   شيء إليه مصيرنا والمرجع

٤ ـ كما ذكر الناظم رحمه الله بعض الصفات، فقال:

حي قديم واحد متَنزِّه   صمد، تذل له الرقاب وتخضع
مُتكلم عدل جواد منعم   بالقسط يعطي من يشاء ويمنع
ذو العرش لا يخفى عليه سريرة   منا، ويعلم ما نقول ويسمع

---

(١) الأبيات الواردة هنا من المنهج الأحمد ٣١/ ١٦٠ ـ ١٦١.

(٢) انظر في وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة: الشريعة للآجري (١/ ٢٧٥ ـ ٣٠١)، والإبانة (٢/ ٤٢٩ ـ ٤٤٩)، وشرح أصول الاعتقاد للألكائي (١/ ٨٢ ـ ١٦٠).

٥ ـ ومما ذكره أيضاً في منظومته ظهور الله تعالى لعباده في المحشر، وكذلك إثبات الشفاعة للنبي محمد ﷺ، فقال:

في الحشر يظهر للعباد بلطفه كل يذل له وكل يخضع
بالعدل يحكم في القيامة بيننا ونبينا فينا إليه يشفع

٦ ـ كذلك بين معتقد أهل السنة والجماعة، في فضل الخلفاء الأربعة ﷺ، فذكرهم حسب منزلتهم في الفضل، فقال:

خير البَّرية بعده صديقه هو في الخلافة سابق مُستتبعُ
وكذلك الفاروق أكرم صاحب من بعده حَبرٌ جواد سَلْفَعُ[1]
ومجهزُ الجيش العظيم ومن ثوى مُستسلما في الدار وهو يُبَضعُ
وحبيبه ونسيبه وصفُّيه وحسامه ذاك البَطيْنُ الأنزَعُ[2]

٧ ـ ثم ختم منظومته ببيان فضل الصحابة ﷺ، فقال:

لهم المناقب والمواهب والعلا وهم الصواحب والنجوم الطُّلع
وهم الذين بهم يفوز مُحبهم يوم المعاد وكل ذخر ينفع

خامساً: بعض المؤاخذات على المنظومة:

ورد في المنظومة بعض الألفاظ التي تُستدرك على الناظم ﷺ:

١ ـ فمن ذلك، قول الناظم ﷺ:

أبني كن متمسكاً بنصيحتي فالدهر ذو غرٍّ يجور ويخدع

---

(١) السلْفَعُ: الجريء، الشجاع، الواسع الصدر. (القاموس المحيط ص١١٨٠).
(٢) في صفة علي ﷺ البَطِينُ الأنزَعُ: لأنه كان أنزعَ الشعر له بَطْن. (النهاية في غريب الأثر ١/ ٦٣٦).

فوصف الناظم كَلَلهُ الدهر بأنه «ذو غرٍ يجور ويخدع» هذا فيه تجاوز بسب الدهر وتعليق الجور والخداع به، وقد ورد النهي عن ذلك بقوله ﷺ: «لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر»[(١)].

٢ ـ ومما يؤخذ على الناظم كَلَلهُ أيضاً، تسمية الله تعالى بالقديم، فقال:

حي قديم واحد متَنزِّه صمد، تذل له الرقاب وتخضع

فتَجوَّز الناظم كَلَلهُ في وصف الله تعالى بالقديم.

وبالجملة ـ وبرغم هذه الملاحظات ـ فإن الناظم كَلَلهُ سار في منظومته على طريقة أهل السنة والجماعة في تقرير عقيدة السلف، فيما ذكره من مسائل الاعتقاد.

---

(١) متفق عليه: البخاري: كتاب الأدب: باب لا تسبوا الدهر، برقم (٥٨٢٧)، ومسلم: كتاب الألفاظ من الأدب: باب النهي عن سب الدهر، برقم (٦٠٠٣). من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) تقدم الكلام على وصف الله تعالى بالقديم.